مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٨) العدد (٣) ٢٠٢٤
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (8) No. (3) 2024

الدعوة إلى الحب في ديوان "قمرٌ فوقَ دفتري" للشاعر السوري نجيب كيَّالي

أ. د محمد معلا حسن(*)

منى رجب مصطفى(**)

(تاريخ الإيداع ١/٢١ /٢٠٢٤. قُبِل للنشر في ٣/٢٨ /٢٠٢٤)

□ ملخّص □

يُعدُّ "أدب الأطفال" واحداً من أهم أنواع الأدب الحديث، إذ يُعوَّل على "أدب الأطفال" كثيراً في بناء شخصية الطفل، والارتقاء بذائقته، وإطلاق العنان لخياله ومشاعره، وضبط انفعالاته، وتقديم الأفكار التي تسمو بفكره، وترتقي بشخصيته، والأطفال هم الغرس المأمول في أي مجتمع إنساني.

يسعى هذا البحث إلى دراسة الدَّعوة إلى الحب في ديوان الشَّاعر نجيب كيالي: "قمرٌ فوقَ دفتري"، لما للحبِّ من دورٍ فعّالٍ في بناء مجتمعٍ سليمٍ قائمٍ على الخير والمحبَّة والسَّلام، ولما لهذه الدَّعوة من دورٍ كبيرٍ في إبعاد الطفل عن الأجواء السلبية المشحونة بالحقد والبغضاء في واقعه المعيش.

وستحاول الدِّراسة رصد مظاهر الحبِّ وصوره في ديوان الكيَّالي، والغايات التي سعى إلى تحقيقها من خلال إلحاحه على هذا الجانب، وأهمّ التشكيلات الأسلوبيَّة التي اتكأ عليها من أجل تحقيق غاياته التربويَّة

الكلمات المفتاحيَّة: أدب الأطفال، الوطن، نجيب كيّالي.

(*): أستاذ–قسم اللغة العربية–كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طرطوس –طرطوس–سورية.

(**): طالبة دراسات عليا (دكتوراه) / أدبيات –كلية الآداب والعلوم الإنسانية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طرطوس–طرطوس–سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٨) العدد (٣) ٢٠٢٤
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (8) No. (3) 2024

A Call to Love In "Moon Above My Notebook" Diwan By The Syrian Poet Najeeb Kayali

Dr. Muhammad Moulla Hasan(*)
Mouna Rajab Mosstafa(**)

(Received 21/1 /2024. 28 /3/2024)

□ ABSTRACT□

Children's literature is considered one of the most important genres of modern literature. A lot of things depend on "children's literature" such as building the children's personalities, improving their tastes, unleashing their imaginations and feelings, controlling their emotions, and present ideas that elevate their ideas and living up to their consciences. Children are the hoped-for core in any human society.

This brief research in "Children's Literature" seeks to study the call to love in the poet Najeeb Kayali's Diwan: "Moon over my notebook" Because love has an effective role in building a healthy society based on goodness, love and peace, and because this call has a great role in distancing the children from the negative atmosphere and their living reality. It also made them get rid of the hatred and hate that were behind most wars and conflicts throughout the ages.

The research will try to monitor the manifestations of love and its images in Kayali's Diwan, the goals that the poet sought to achieve through his insistence on this aspect, and the most important stylistic formations that he relied on in order to achieve his educational and aesthetic goals.

Key words: Children's Literature – Homeland - Najeeb Kayali.

(*): Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tartous Universitry, Tartous, Syria.
(**): Postgraduate student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tartous Universitry, Tartous, Syria.

مقدمة:

الحبُّ قيمةٌ إنسانيةٌ نبيلةٌ وشعورٌ سامٍ، يولد مع الإنسان، ومن ثَمَّ يكبر ويزداد رسوخاً في وجدانه إذا ما لاقى العناية، والرعاية التي يستحقها، وإلا فإنَّه سيضمحل شيئاً فشيئاً، أو قد ينقلب إلى مشاعر مناقضةٍ له، يكتنفها الحقد والكره وعدم الرضى؛ لذا علينا جميعاً أن نتكاتف لنشر ثقافة الحبِّ في هذه الحياة، وقد يكون الأطفال أرضاً خصبةً لغرس بذور الحبِّ التي ستنمو بنموهم وتترعرع، فهم بناة المستقبل، والأمل والرجاء الذي نعوّل عليه في وطننا المكلوم، وهذا يتطلب منا جهوداً حثيثةً تُبنى على أسسٍ صحيحةٍ مدروسةٍ، كما يتطلب عنايةً فائقةً بسلوكيات الطفل وتوجيهه وجهةً تربويةً سليمةً، ولعلَّ أدب الأطفال من الوسائل الناجعة التي تتيح لنا فرصة تحقيق ذلك، لما له من دورٍ بارزٍ في تربية النشء، وغرسِ القيم الأخلاقيَّة النبيلة في عقله ووجدانه.

مفهوم أدب الأطفال:

الطفل بسمةُ الحياة وفرحها، ورمز الطَّهارة والنَّقاء في هذا العالم" وهو أمل الأمة ومستقبلها الواعد، ولكي يكون هذا المستقبل مشرقاً، ينبغي لنا أن نعمل على بناء شخصية الطفل بناءً سليماً مدروساً، ولعلَّ أدب الأطفال بصورة عامّة، وشعره بصورة خاصّة، من أهمّ الوسائل التي تمنحنا فرصة تحقيق ذلك"(١).

وأدب الأطفال من الفنون الأدبيَّة المستحدثة في الوطن العربي والعالم، فإذا كان هذا الأدب "في فرنسا قد تأخر حتى أواسط القرن السابع عشر وفي بريطانيا إلى القرن الثامن عشر تقريباً، فإن ظهور هذا الأدب في اللغة العربية قد تأخر إلى أواخر القرن التاسع عشر، عندما بدأ في شكل إرهاصات مصحوبة برياح التأثير الثقافي الوافد من الغرب، ومتأثرة بما وصل إليه هذا الأدب في كل من فرنسا وانجلترا"(٢)، حتى إنَّ بعض الباحثين ينفون وجود ما يسمى "أدب الأطفال" في تراثنا الأدبي، رغم ثرائه، ويرجعون السبب في ذلك إلى قلة الاهتمام بالثقافة بصورة عامة، وبالثقافة الطفلية بصورة خاصة، إضافةً إلى النظريات التربوية التقليدية التي ترى الطفل رجلاً صغيراً(٣)، وهذا ما يؤكِّده الأديب اليمني الراحل: عبد العزيز المقالح بقوله: "وفي أدبنا العربي ما أكثر الوجوه الغائبة، ولكن غياب وجه الطفل وهو ألق الحياة الدائم أخطر أنواع الغياب، وهو ما يجعل كل أديب عربي كبير يندى خجلاً"(٤)؛ إذ لم يجد هذا الأدب على الرغم من أهميته الاهتمام اللائق به، "فقد أغفلت أهمية أدب الأطفال في الوطن العربي طويلاً، ومازال الكثيرون منهم يترفعون عن مخاطبة الناشئة في أدب يساعد على نماء جماهير الأطفال الواسعة، وبما تمليه اعتبارات هذه المخاطبة التربوية والفنية، بل إن كثيرين يرون ضيراً في ممارسة هذا الخطاب"(٥). ونحن بدورنا نميل إلى ترجيح هذا الرأي الذي اتفق عليه عدد غير قليل من الباحثين، فقد "ظلَّ الشعر العربي عبر تاريخه الطويل، يدور حول الطفل ولا يتجه إليه ما خلا بعض المقطوعات الشعرية المحدودة التي تواترت إلينا بلسان الأمهات وهن يهدهدن أطفالهن لينام، فيردّدن أغاني المهد..."(٦).

---

(١): منى رجب مصطفى: منظومة القيم الفكرية والفنية في "ديوان الأطفال" عند الشاعر سليمان العيسى–رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في الشعر الحديث–إشراف الدكتور محمد معلا حسن–كلية الآداب والعلوم الإنسانية –جامعة طرطوس، ٢٠٢١م، ص:١٢–١٣.

(٢): د. عبد العزيز المقالح: الوجه الضائع – دراسات عن الأدب والطفل العربي – ط٢ – دار الشؤون الثقافية العامة – وزارة الثقافة والإعلام – بغداد – العراق، ١٩٨٢م، ص:١٢.

(٣): هادي نعمان الهيتي: أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائطه–مطابع الهيئة المصريّة العامة للكتاب –القاهرة، (د. ت) –ص:١٠٣–١٠٤.

(٤): د. عبد العزيز المقالح: الوجه الضائع–ص:٥.

(٥): الدكتور أحمد علي كنعان والدكتور فرح سليمان المطلق: أدب الأطفال وثقافة الطفل–منشورات جامعة دمشق، ١٤٣١–١٤٣٣هـ –٢٠١٠–٢٠١١م –ص:٢٠.

(٦): عبد اللطيف أرناؤوط: شعراء الأطفال– منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب– وزارة الثقافة– دمشق– ٢٠١٦م – ص:٩٣.

ومصطلح أدب الأطفال مصطلحٌ إشكاليٌ غائمٌ لم تتضح معالمه، بعدُ، ولم تتحدَّد أركانه بصورةٍ واضحةٍ حتى وقتنا الحاضر، ولعلَّ ذلك يعود إلى ما ذكرناه من أسبابٍ تأتي في مقدِّمتها حداثة هذا النوع الأدبيّ، ومن هنا فقد تعدَّدت تعريفات الباحثين لهذا الأدب فمنهم من عرَّفه، بقوله: "أدب الأطفال هو بناء لغوي فني جمالي، يصدر عن وجدان المبدع على هيئة شكل أدبي من أشكال الأدب المعروفة شعراً أو نثراً، كالقصيدة والقصة والرواية والمسرحية، يبدعه صاحب موهبة وخبرة، ويتوجه به للأطفال غير الراشدين، مراعياً المراحل العمرية المختلفة لهم، فيخاطب وجدانهم، ويحلّق بخيالهم، ويقدّم لهم القيم والخبرات في ثوب فني معجب، ولغة مؤثرة، مشوقة ومصورة موحية"( ). ومنهم من يوسِّع مجال أدب الأطفال، فيجعله يتجاوز المجال اللغويّ المكتوب إلى الشفاهيّ، فمن وجهة نظر هؤلاء أنَّ أدب الأطفال "لا يعني مجرد القصة، أو الحكاية النثرية أو الشعرية، وإنما يشمل المعارف الإنسانية كلها... (فكل) ما يكتب للأطفال، سواء أكان قصصاً، أم مادة علمية، أم تمثيليات أم معارف علمية أم أسئلة أم استفسارات، في كتب أم مجلات أم في برامج إذاعية أم تلفزيونية أم "كاسيت" أم غيره، كلها مواد تشكّل أدب الأطفال"( ). وهذا الرأي من وجهة نظرنا لا يخلو من التهويم وعدم الدقة، فهناك فرقٌ واضحٌ ما بين أدب الأطفال وبقية الفنون الموجَّهة إليهم، وإن كانت تلك الفنون ذات أهميةٍ كبيرةٍ في تشكيل وعي الطفل والارتقاء بذائقته، وتحريك خياله.

[٧] [٨]

موضوع البحث:

هو دراسة الدَّعوة إلى الحبِّ في ديوان الشَّاعر نجيب كيَّالي: "قمرٌ فوقَ دفتري" الفائز بجائزة مصطفى عزُّوز في تونس عام ٢٠٢١، فقد احتلَّت الدَّعوة إلى الحبِّ مساحةً لا يُستهان بها في هذا الديوان، وستقوم الدِّراسة بإبراز صور الدَّعوة إلى الحبِّ فيه، وطرق تقديم الشَّاعر لها، كما ستحاول إماطة اللثام عن مراميه وغاياته الكامنة وراء إصراره على إيصال هذه الدَّعوة السامية إلى الطفل العربي.

أهداف البحث:

تسليط الضوء على مجموعة شعرية جديدة تحتفي بهذا الموضوع الإنساني الفائق الأهمية، وهو الدَّعوة إلى الحب والعمل على إبراز صور هذه الدَّعوة في الديوان، ومحاولة رصد أساليب الشَّاعر وغاياته من التركيز على هذه القيمة الإنسانيَّة النبيلة، ومدى نجاحه في إيصال هذا المفهوم إلى الطفل، ودور ذلك في التأثير في وجدان الصَّغير، ودفعه إلى الإيمان بالحبِّ وتمثُّله في سلوكياته اليوميَّة.

أهميَّة البحث:

تتأتَّى أهمية البحث من أهميَّة الأطفال أنفسهم، وأهميَّة الأدب الموجَّه إليهم المسمَّى "أدب الأطفال"، ودوره الفعَّال في تنمية شخصية الطفل، وتوجيهه وِجهةً أخلاقيَّةً ونفسيَّةً سليمةً، إضافةً إلى قلَّة الدراسات العلميَّة الأكاديميَّة التي تناولت أعمال هذا الشَّاعر بالوصف والبحث والتحليل على نحو عام، على الرَّغم من أنه قدَّمَ الكثير من الأعمال القيِّمة للصغار سواء أكانت شعراً أم قصَّةً، أم دراساتٍ جادةً تناولت أدب الطفل بالتقويم، يُضاف إلى ذلك عدم وجود أيِّ دراسةٍ تناولت هذا العمل على نحو خاصٍ.

منهج البحث:

استندت الدِّراسة إلى المنهج الوصفيّ التحليليّ في رصد تجليَّات الدَّعوة إلى الحبِّ في شعر "نجيب كيَّالي"

---

(٧): د. ناصر يوسف جابر (شبانه): أدب الأطفال، دراسة في المفهوم-جامعة أم القرى shabananet.hotmail.com -ص:١٥.

(٨): د. سمير عبد الوهاب أحمد: أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية – ط١ -دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة -الأردن، ٢٠٠٦م-١٤٢٦هـ-ص:١٨.

وتحليلها، من خلال دراسة نماذج شعريَّة للشاعر تحتفي بهذه الدَّعوة.

الدعوة إلى الحب في ديوان "قمرٌ فوقَ دفتري":

إنَّ أوَّل ما يطالعنا في ديوان الشَّاعر: نجيب كيَّالي(*) هو الحبُّ، فقد بدأ ديوانه بالحبِّ (أحبَّ) بكلِّ ما يشي به هذا الفعل من استمراريَّة هذا الحبِّ وديمومته، وأيُّ حبٍّ هذا! إنَّه حبٌّ لمنزل الطفل ومرتعه بكل ما فيه من أشياء وأرواح تنبض بالحبِّ وتهلِّل بفرح الطفولة وعفويتها "والمدخل الطبيعي لأي قصيدة مكتوبة للأطفال هو أن تكون حاويةً الروحَ الطفولية، مما يعني ألَّا تُقحَم فيها روح الكبار وتصوراتهم، أو همومهم ومشكلاتهم"( )[٩]، وهذا ما نلقاه في مدخل النشيد المسمَّى (باب المنزل):

أُحبُّ بابَ المنزلِ يا مرحباً يقولُ لي
يُهديْ إليَّ بسمةً أردُّها بأجملِ ( )

فالشَّاعر يسعى إلى إثارة خيال الطفل من خلال هذا الحوار المُتَخيَّل بين الطفل وباب داره، وشحنه بعاطفة الحبِّ نحو بيته وأسرته بأسلوبٍ غير مباشرٍ/ ضمنيٍّ، "وإذا حرَّضنا خيال الطفل على النموّ وقدناه إلى النضج، نجحنا في تجسيد وظيفة تربويّة أساسية في حياة مجتمعنا ومستقبله( )[١]. ثم نراه ينقل الطفل إلى ما يشبه مملكةً سحريَّةً، أو جنَّةً من جنان الأرض تضوع بالورود والقرنفل، وشيئاً فشيئاً يوغل الشَّاعر بالطفل إلى مملكة الحبِّ، إذا جاز التَّعبير، ليجد عائلته الصَّغيرة؛ أمه وأباه وأخوته وقد ملؤوا الدنيا ضحكاً وشدواً:

أبي وأمِّي ها هنا أخي عصامٌ، وعَلِي
أختي رَشَا وضِحْكُها وشَدوُها كالبلبلِ( )

ولا يكتفي الشَّاعر بإظهار الحبِّ للعائلة فقط، بل يتعداها إلى حيوانات المنزل الأليفة، ونعتقد أنَّ الشَّاعر لم يفعل ذلك عبثاً، وإنَّما أدرك بحكم خبرته التربويَّة، وفهمه العميق لأدب الأطفال ومستلزماته أنَّ الحيوانات مثيراتٌ مهمَّةٌ بالنسبة إلى الأطفال، وأنَّ الأطفال يحبُّون الحيوانات الأليفة ويتعلَّقون بها، ويعمدون إلى تقليد أصواتها ومحاكاة حركاتها:

إذا دخلتُ مَاءَ لي قِطٌّ بلونِ السُّنبلِ
في رقّةٍ يسألُني عن أكْلِهِ

وهنا يعمد الشَّاعر عن قصد إلى ظاهرة الأنسنة التي "تعني خلعَ صفة الحياة على الحيوانات وأشياء الطبيعة، بغية تفسيرها وتعليل تصرفاتها وصورها الخارجية وطباعها، وغرس قيم محددة عن طريقها"( )[٤]، أو بكلامٍ آخر هي "إضفاء صفات الكائن الحي وبخاصة الصفات الإنسانية على مظاهر العالم الخارجي، إذ إنَّ جسم الإنسان يُعد مركزاً

(*): نجيب كيالي: شاعر عربي سوري، له اهتمام كبير بأدب الأطفال في مجالي الشعر والقصة، من كُتبه: العيد والأرجوحة، أميرة السُكَّر، ضحكة الأميرة، رجل طويل جداً، وقد حصل على عدد من الجوائز العربية، آخرها جائزة الطّيب صالح من السودان عام٢٠٢٢م.

( ): بيان الصفدي: شعر الأطفال في الوطن العربي دراسة تاريخية نقدية– ط١ –منشورات وزارة الثقافة– دمشق، ٢٠٠٨م– ص:٥٧٤.

٠ ( ): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري – مطبعة تونس قرطاج – الشرقية١، ٢٠٢١م – ص:٣.

١ ( ): د. سمر روحي الفيصل: أدب الرياض والأطفال والفتيان – منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة– دمشق، ٢٠١٧م – ص:١٠٣.

٢ ( ): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري– ص:٣.

٣ ( ):نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري– ص:٣.

٤ ( ): سمر روحي الفيصل: مشكلات قصص الأطفال في سورية – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق، ١٩٨١م– ص:٩١.

قوياً للتوسع الاستعاري"( )، فيجعل هذا القطَّ الصَّغير فرْداً من أفراد عائلة الطفل يخاطبه'ويناجيه، وفي هذا دعوةٌ مبطَّنةٌ إلى الرِّفق بالحيوان، وهي وجهةٌ تربويَّةٌ سليمةٌ تُحسَب للشَّاعر.

ثم يُنهي الشَّاعرُ نشيده كما بدأه بالحبِّ مُتكِئاً على التكرار الذي يُرسِّخ المعنى ويُعمِّقه في ذهن الطفل، كما أنَّه يُعَدُّ "إذا أحسن استخدامه حليةً إيقاعية، ودلالية موحيةً، وذلك بما يمتلكه من طاقات من شأنها أن تغني القصيدة، وترفع من مكانتها الفنية"( ). و يتكئ أيضاً في الخاتمة علّى الاستفهام الذي خرج من معناه'الحقيقيّ في: "طلب الفهم، أي طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً..."( )، إلى غرضٍ بلاغيٍّ جماليٍّ هُو التَّقرير، فالبنيةُ العميقة للسؤال'لا تتطلَّب الإجابة بنعم أو لا، وإنَّما أراد الشَّاعر من خلالها أن يُقرِّر ويُؤكِّد على لسان الصَّغير أنَّ باب بيته ليس من خشبٍ، بل من حنانٍ وعطفٍ ومحبَّةٍ:

أُحبُّ بابَ المنزلِ يا مرحباً يقولُ لي
أبابنا من خشبٍ؟ أم من حنانٍ

وفي نشيدٍ آخر بعنوان "بيت جديد" يُقدِّم الشَّاعر صورةً أخرى من صور الحبِّ، تجاوز حبَّ الأسرة الصغيرة إلى الحبِّ الإنسانيّ، وعَمَدَ إلى ذلك بأسلوبٍ ضمنيٍّ من خلال نبذ الحرب، وقد جاء النَّشيد على لسان طفلٍ يكره الحرب، يرسم فيه الشَّاعرُ صورةً رائعةً للحبِّ استقى مفرداتها من عالم الطبيعة بكلِّ ما فيها من بهاءٍ وجمالٍ، " وتوظيف الطبيعة في تشكيل الرؤية الشعرية في ظلال الطفولة يُعَدُّ رافداً رئيساً في حقل التجربة الشعرية الترويحيّة، كما يُعَدُّ نسيجاً يُخرج التجربة من دائرة الرصد المباشر، والتقريرية النثريّة، ويُدخلها في عالم الفّن... ويدفع بها إلى رحاب الشموليّة بعيداً عن التقوقع داخل أسوار الذات"( )، يقول الكيَّالي:

من حبَّاتِ المطرِ
من أوراقِ الشَّجرِ
من ريشِ العصفورْ
من حُلْمٍ مسحورْ
للحبِّ سأبني بيتاً
من وردٍ،

الشَّاعر يسعى بكل طاقاته وبراعته إلى تنمية خيال الطِّفل، ودفعِهِ إلى التحليق فوق الواقع في عالم من الرؤى والأحلام الجميلة، علماً أنَّ "الارتفاع فوق الواقع سمة من سمات الخيال، لأن نقل الواقع كما هو لا يُعَدُّ خيالاً ولا يدخل في حقله"( )، والخيال حاجة ضرورية للطفل بصورة خاصة، وللإنسان بصورةٌ عامة؛ "لأنه يخلعه من الواقع المحيط

٥ (): دعاء ثامر حميد: شعر الطفولة في العراق ٢٠٠٣م–٢٠١٥م (دراسة موضوعية فنية) – رسالة ماجستير – جامعة بغداد – قسم اللغة العربية، ١٤٣٨هـ–٢٠١٦م – ص:١٩٤.

٦ (): بوعيسى مسعود: التشكيل الموسيقي في شعر سليمان العيسى (ديوان الجزائر) أنموذجاً – رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر – باتنة – الجزائر، ١٤٣٢–١٤٣٣هـ–٢٠١١–٢٠١٢م – ص:١١١.

٧ (): عبد السلام محمد هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي – ط٥ – مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م – ص:١٨.

٨ (): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري– ص:٣.

٩ (): محمد قرانيا: جماليات القصيدة الطفلية في سورية – سلسلة الدراسات (١٢)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق –٢٠١٤–ص:١٨٣.

١٠ (): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري – ص:٤٤.

١١ (): د. سمر روحي الفيصل: أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية دراسة – من منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق، ١٩٩٨م–

به، ويجعله يتصوَّر واقعاً أكثرَ ملائمة له، وأشدَّ قرباً من أحلامه وتطلُّعاته"( )، وإيماناً من الشَّاعر بأهميَّة الخيّال وضرورته في "أدب الأطفال"، نراه يرسم على لسان الصَّغير مشهداً رمزيَّاً يمتزج فيه الواقع بالخيال، مُتَّخِذاً من الرَّمز سبيلاً إلى ملامسة مشاعر الصَّغير ودفعه إلى حبِّ هذا البيت الذي هو الوطن الكبير الذي لا حدود له؛ إذ يجعله رحباً يتسع للجميع من أبنائه، ومهما تعدَّدت مشاربهم، ومنابتهم، فإنَّ هذا البيت سيظلُّ يغمرهم بالنُّور الذي هو رمزٌ آخر للعِلم والخير والجمال:

لا أسوارَ، ولا أبوابْ
لا حربٌ تبدأُ لا نارْ
بيتي للنورْ
للطير المُتعَبِ كان
لجميع الأحبابْ
عمرٌ، زينبْ
عيسى مريمْ
بيتي بستانْ" ( )

ثم يلجأ الشَّاعر إلى وسيلةٍ أخرى من أجل تقريب مفهوم الحبِّ المجرَّد من ذهن الصَّغير، وذلك عن طريق استخدام صورٍ حسيَّةٍ، يجمع فيها بين المتناقضات، ويُقرِّب بين الأعداء، فيجعلهم يعيشون في بيت الحبِّ الذي رسمَهُ وصوَّره في المقطع السَّابق، "والصور عنصر رئيس في شعر الأطفال والناشئة "يميزه من النثر، وخير هذه الصور ما كان زاخراً بالحياة والحركة، حافلاً بالألوان، مشتقّاً من بيئة الناشئ ومدركاته ومخيّلته من دون إغراب، مساعداً له على التأثُّر والتّواصل في منأى عن التعمية والغموض والضَّياع، معرّفاً له ببيئته الاجتماعية، وصاقلاً مشاعره وأحاسيسه من دون مبالغة، ومجسّداً له المجرَّدات من غير مجافاة للواقع والحقيقة( )، ولعلَّ استحضار صورة الثَّعلب وجعْله قريباً من الأرنب يُحرّك خيالَ الصَّغير ويدعوه إلى التَّأمل في مغزاها الذي يوحي بالتآلف والحبِّ بين الجميع:

هذا أرنبْ
يلهو، يلعبْ
قربَ الثعلبْ
بدرٌ، وقلوبْ
وجمالُ دروبْ ( )

ومن صور الحبِّ اللافتة في الديوانِ ما جاء في نشيد بعنوان: (الأختان)، يدعو فيه كيّالي الصَّغيرَ إلى الحبِّ بأسلوبٍ غير مباشرٍ من خلال فكرة نبذ الحرب والخصام التي يلحُّ عليها الشَّاعر بشدةٍ، وقد حقَّق ذلك من خلال صورة أخرى استمد معطياتها من واقع الطفل ليُقرّب الفكرة من ذهنه ويدفعه إلى تبنيها مستقبلاً:

ص:٤٧.

٢٢): د. سمر روحي الفيصل: أدب الرياض والأطفال والفتيان – منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة– دمشق، ٢٠١٧م – ص:١٠٢.

٢٣): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري– ص:٣٢.

٢٤): د. سمر روحي الفيصل: أدب الرياض والأطفال والفتيان – ص:٢٠٩.

٢٥): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري – ص:٤٤–٤٥.

في دنيانا يا أطفالْ
شيءٌ مؤسفْ:
حربٌ، وضجيجٌ، وخِصامْ
إلا السبَّابةَ والإبهامْ
أختانِ، وبينهما نهرُ وِئامْ
ما قالت تلكَ السبَّابةُ: إنّي
ما قالت تلكَ الإبهامُ: أنا

وضمن الدَّائرة ذاتها، وفي سياق رفض الحرب والدَّعوة إلى محبَّة السَّلام، نرى الشَّاعر يُقدّم صوراً طفوليَّةً تنبض بمشاعر الحبِّ العفويَّة الصادقة، وذلك في نشيدٍ بعنوان "الدمية الوحيدة"، جاء على لسان طفلةٍ أبعدتها الحرب عن بيتها، وأجبرتها على ترك دميتها، فأخذت تبثُّها لواعج الشَّوق والحبِّ بكلِّ ما في الطُّفولة من براءةٍ وعفويَّةٍ:

أنا لستُ أنسى
أنا لستُ أنسى
لولو الصديقةُ
لولو اللطيفةُ
آهٍ وآهْ، غادرتُ
والحربُ كانت زاحفةْ
وصديقتي ظلَّت
محبوبتي بقيتْ
آهٍ وآهْ
أرجوك يا ربّي
احملْ لها قلبي
ليظلَّ ينبضُ عندَها
فالعيشُ مُرٌّ

وفي سياقٍ شعريٍّ آخر يفيض بمشاعر الحبِّ الصَّادقة نحو طفلةٍ من ذوي الاحتياجات الخاصَّة، تستشف الدِّراسة دعوةً صريحةً من الشَّاعر إلى حبِّ هؤلاء الصِّغار وتقديم يد العون والمساعدة لهم، وتعزيز ثقتهم بأنفسهم، وقد جاء ذلك على لسان الصَّغير أحمد في نشيد بعنوان (أحمد ومرام):

صديقتي مَرامُ تحبُّها الأنسامُ
طفلينِ نحن لم نزلْ وبيننا انسجامُ
نلهو معاً، نغنّي كأننا حَمَامُ
مَرامُ قد أحببتُها مريضةً عرفتُها
يدي لها تُسْنِدُها وبسمتي أهديتُها

٢٦(): المصدر السابق– ص:٥.

٢٧(): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري– ص:٢٦.

أُوصِلُها لبيتها أبكي إذا

ومن مظاهر احتفاء الكيّالي بالحبِّ، إظهار المحبَّة نحو الصِّغار جميعاً، وذلك في نشيد موسوم بـ (أيها الأطفال)، توسَّل الشَّاعر فيه بالتَّشبيه: (يا خيول الحب)، (كخطى الورد خطاكم)، لإظهار مشاعر الحبِّ الصَّادق والأبوّة الحانية نحوهم:

يا خيولَ الحبِّ في دمائي.. في
كخُطى الوردِ خُطاكمْ عطرهُ في كلّ وادِ
يطلَعُ الصُّبحُ إنْ طلعتُم وينادي:
أنتمُ الأحلى بعمري في اقترابٍ،

ثم يتابع في النَّشيد نفسه التَّعبير عن مقدار حبِّه للصغار ومؤانستهم لهم:

بلدٌ قلبي اسكنوهُ إنَّكم أنتمْ بلادي
املؤوا عمريْ ورداً آنسوني في

وهذا الحبُّ الصادق ليس غريباً عن الشَّاعر، فهو جدٌّ وله أحفادٌ أبعدته الحرب* عنهم، ممَّا أشعل في قلبه نيران الحبِّ والشَّوق إليهم، لهذا نراه يُقدِّم للصِّغار نشيداً بعنوان (الزائر الصغير)، يُصوِّر فيه مشاعر الحبِّ الحميمة بينه وبين حفيده، في صورٍ عفويَّةٍ من صور الحبِّ الطُّفوليّ:

جدّي (يَصيحُ أنا مُقْبِلٌ.. أنا مُقْبِلُ
فَرِحٌ أنا كفراشةٍ بينَ الرُّبى تتنقَّلُ
قُبَلٌ معي لخدودكم عشراً وعشراً أحملُ
رنَّانةٌ نَغَمَاتُها عن طعمها لا

ثمَّ يتابع الشَّاعر بوحه الشِّعريَّ على لسان الصَّغير مُخاطِباً جدَّهُ بكلماتٍ عذبةٍ تشفُّ عن نفسٍ نبيلةٍ فياضةٍ بالمشاعر المُرهَفَة:

أنتَ الحبيبُ سقيتَهُ فصفا، وطابَ
جدّي.. وأهجمُ أضمُّهُ، وأُقبّلُ ( )

ودعوةُ الشَّاعر الصِّغار إلى الحبِّ لا تقتصر على حبِّ الأهل والوطن والأصدقاء فقط، وإنَّما تتعداها إلى الدَّعوة إلى حبِّ الطَّبيعة الصَّامتة مُتوسِّلاً بمظهرٍ من مظاهر الطَّبيعة الصَّامتة (الشجرة)، مُصَوِّراً علاقة المحبَّة الصَّادقة والألفة والانسجام التي تربطها بالصِّغار:

تحيا بحوضِ الدَّارِ محبوبةٌ للصغارِ
أوراقُها ضاحكاتٌ سعيدةٌ بالنهارِ
*
تمدُّ غُصنين نحوي تضمُّني باشتياقِ

---

٢٨): المصدر السابق – ص:٢٩.

٢٩): المصدر السابق– ص:٢٣.

٣٠): المصدر السابق – –ص:٢٣.

٣١):نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري – ص:٧.

٣٢): المصدر السابق – ص:٧.

ربَّاه ما أحلاها نعومةَ الأوراقِ!( )

وفي السِّياق ذاته نراه يخاطب الطِّفل على لسان شعاع الشَّمس الذي يهبه قبلاتِهِ وكلامَه الرقيق المُحمَّل بالحبِّ للسلم والخير الذي رمزَ له باللون الأبيض بكلِّ ما يحمل هذا اللون من إيحاءاتٍ تشي بالطُّهر والنَّقاء، وقد جاء ذلك في نشيدٍ بعنوان (ما قاله شعاع الشمس):

للكلِّ أحملُ قُبلةً ومعيْ قليلٌ من
أنا أبيضٌ أهوى ضَ على الدَّوامِ..
أهواه حتَّى في بِ هناك يرقصُ لا

وللطيور حصَّةٌ من دعوته للحبِّ، ولا سيَّما "أنّ الطيور تجسّد الكثير من أحلام الطفولة، وأنّها تسمو بالخيال الإيجابي عند الطفل وتعزّزه، وترتقي به إلى عالم جميل، عالم تسوده البراءة والسحر والعفوية" ( )، والشَّاعر يختار صورةَ طيرٍ جميلٍ قلما يتحدَّث عنه الشُّعراء هو (اللقلق) بما يتمتَّع من شكلٍ خاصٍّ؛ إذ إنَّ له منقاراً طويلاً، وساقين مديدتين، وقد التقط له مشهداً حركيَّاً جماليَّاً، وهو قرب النَّهر يُصفِّق بجناحيه، ويمدُّ منقاره إلى الماء ليبحث عن غذاءٍ له. ومن خلال التَّصوير الجميل يشعر الأطفال بالإعجاب بهذا الطائر، ويتذكَّرون طيوراً أخرى تعيش في الماء أو حوله كالبطِّ والإوز والبجع، فيمتلئون حبَّاً لهذه المخلوقات اللطيفة التي تُشبه بعفويتها ما لديهم من براءةٍ وعفويَّةٍ:

قُربَ نُهَيْرٍ هذا لَقلَقْ بجناحيْه صفَّقَ،
منقاراً مدَّ إلى الماءِ هل يبغي صيْداً

ولا تقتصر دعوة الحبِّ لديه على الطُّيور وحدها، وإنَّما تتخطَّاها إلى الحيوان عامَّةً؛ هذا الحيوان الذي يقاسمنا الحياة على هذه الأرض، فهو شريك الإنسان فيها، وربَّما يجوز أن نقول: إنَّه صاحبه، فهل من حقِّنا أن نقسو عليه؟ وقد عَبَّرَ الشَّاعر عن ذلك في نشيد: (حكاية الحمار والوردة) رسم فيها صورةً مُؤثِّرةً، نكاد نجزم أنَّها ستلتصق بوجدان الصَّغار، فثمَّة رجلٌ قاسٍ أنهكَ حماره بأنواع الأحمال الثَّقيلة التي يرميها على ظهره من بصلٍ وحطبٍ وخشبٍ من دون أن يعطيه فرصةً للرَّاحة كتلك التي يحصل عليها الأطفال بين حصصهم في المدرسة، والحمارُ صامتٌ، لا تظهر شكواه إلَّا في عينيه، فتلتقط شكواه وردةٌ على طرف الطَّريق فتتألَّم من أجله:

في درب البلدةْ
ما زالَ حمارْ
يمضي، ويروحْ
محزونَ الرُّوحْ
صبحاً
ظهراً
ومساءْ

٣٣(): المصدر السابق – ص:١٧.

٣٤(): المصدر السابق– ص:١٩.

٣٥(): محمد قرانيا: أطياف قصص الأطفال في سورية (دراسة تطبيقية) – سلسلة الدراسات (٢)– اتحاد الكتاب العرب، دمشق – ٢٠١٣م– ص:٢٩٥.

٣٦(): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري– ص:٢٢.

يحملُ بصلاً
حجراً
خَشَبَا
في عينيهِ يشكو
وهنالكَ فوقَ الدَّربْ
كانت وردةْ
بهدوءٍ تبصرُ ما

ومن أشدِّ مظاهر احتفاء الكيَّالي بالحبِّ أنَّه جعل من الحبِّ لواءً رفعه عالياً، ليشدَّ نظرَ الطِّفل إليه، وقد جعل من الغابات التي ترمز إلى الوطن موطناً لهذا الحبِّ، يقول في (نشيد الغابة):

نمضي.. نمضي عطراً تُهدينا
ماءً يُهدينا اليَنبوعْ فالحبُّ لواءٌ مرفوعْ
فَرَحٌ جنَّاتٌ.. جنَّاتْ نخطو ما أحلى
*
آهٍ ما أحلى عطراً تُهدينا

وكما افتتح ديوانه بالحبِّ، فإنَّه ينهيه بالحبِّ في لوحةٍ تنبض بمشاعر الحبِّ بين الأصحاب؛ إذ رسم صورةً عفويةً لمشاعر الحبِّ والألفة التي تربط الصَّغير بأصحابه، وجعل عراها من المحبَّة الصَّادقة، مُتوسِّلاً بمشاهد الطَّبيعة لتعزيز تلك المشاعر، وتوضيح مفهوم الحبِّ المُجرَّد للصغار، رابطاً بينه وبين مفهوم التَّعاون، وهي صورةٌ اتسمت بكثيرٍ من العقلانيَّة والحكمة رسمها في نشيد بعنوان ": أغنيةٌ للأطفالِ، والشَّمس":

يا صاحبي هاتِ
نبنِ الغدَ المتجدّدا
طفلٌ، وطفلٌ قوةٌ
وردٌ تكلَّلَ بالندى
يا صاحبي قُل:
لنرى الصباحَ
لنرى الحياةَ جميلةً
ونرى الزمانَ محبَّبا
قلها لكي يحلو فمٌ
ويصيرَ ماؤكَ أعذبا
وتصيرَ لي أحلى
وأبوك يغدو لي

---

٣٧): المصدر السابق – ص:٤٠.

٣٨): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري– ص:٢٢.

٣٩): المصدر السابق – ص:٤٨–٤٩.

ثم نراه يجعل الطَّبيعة تُشارك الصَّغير في عزف "سيمفونية" الحبِّ، لتغدو السَّماء والشَّمس والنَّحل مُشارِكين في دعوته، عازفين في جوقة المحبَّة التي تُزيّن الحياة بأجمل الألحان، وتجعل منها بسمةً عذبةً على شفاه الصَّغار:

يا صاحبي هاتِ
نشدو على باب
لسنا صغاراً في
لسنا ضِعافاً أو دُمَى
الشمسُ تعرفُ حُبَّنا
تُهديه ضوءاً مُنْعَمَا
والنحلُ يعرفُ دأبَنا
فلنا الحياةُ

ولعلَّه من الضُّروري أن نسأل بعد هذا الاستعراض لأهمِّ صور الحبِّ في الكتاب عن سرِّ اهتمام الشَّاعر بهذا الموضوع؟ وأغلب الظَّن أنَّ الشَّاعر الكيّالي لديه أسبابٌ كثيرةٌ يمكن أن نُوجز أهمُّها فيما سيأتي:

أولاً: تستشفُّ الدِّراسة أنَّ الكيَّالي ليس راضياً عمَّا يراه في عالم الكبار من جفافٍ عاطفيٍّ، وتعاملاتٍ ماديَّةٍ خشنةٍ؛ لذا فالمبادرة لزرع فكرة الحبِّ في نفوس الصِّغار ستُؤسِّس لحياة أجمل يسودها التحابُّ والتعاطف والخير.

ثانياً: انتشرت في البلاد العربيَّة في العقود الأخيرة نزاعاتٌ مذهبيَّةٌ وطائفيَّةٌ من خلفها أيدٍ خارجيَّةٍ، وهي تعمل على تمزيق البنية الداخليَّة لمجتمعاتنا، ولعلَّ الحبَّ الأصيل خير دواءٍ لذلك، بل إنَّ الحبَّ لو كان موجوداً أصلاً داخل النَّسيج الاجتماعيّ سيُشكّل بيئةً غير صالحةٍ لتلك النِّزاعات؛ أي سيقطع الطريق عليها.

ثالثاً: إنَّ الشَّاعر أيَّ شاعرٍ حقيقيٍّ بطبعه هو إنسانٌ رقيقٌ يؤمن بالعواطف النَّبيلة ويسعى لغرسها في نفوس الكبار والصِّغار.

التشكيلات الأسلوبيَّة عند الشَّاعر:

إنَّ لكلِّ كاتبٍ ملامح خاصَّةً في أسلوبه التَّعبيريّ يستعين بها لنقل عواطفه وأفكاره، ويتمكَّن من خلالها من بلوغ الأثر المنشود له في نفوس الأطفال، ولا شكَّ في أنَّ جذب الصِّغار إلى قصيدةٍ يحتاج إلى مهارةٍ خاصَّةٍ، ومعرفةٍ بسيكولوجيَّة الطِّفل، وما الذي يصلح له، وما الذي لا يصلح، ومن المعروف أنَّ هذا الكائن الصَّغير ليس لديه ذخيرةٌ واسعةٌ من المفردات، كما أنَّه غير قادرٍ على تركيز الانتباه لفتراتٍ طويلةٍ، فضلاً عن أنَّه شديد النفور من الرتابة والوعظ والأوامر. وهكذا، فهو يحتاج لخطابٍ من نوعٍ خاصٍّ يختفي فيه صاحبه، وتظهر كلماته، وكأنَّها نابعةٌ من نفس الطفل ذاته أو كأنَّ الذي يخاطبه طفلٌ آخر لا شاعرٌ كبيرٌ يُكلِّله المشيب، ومن أهمِّ ملامح أسلوبه:

١- **الطفل غالباً هو بطل النصّ:** أي هو الذي يُحرِّكه أو يظهر صوته فيه، وإذا لم يكن البطلَ بطولةً كاملةً، فإنَّ له حضوراً قويَّاً في النصِّ، ممَّا يجعله يشعر نحوه بالألفة، والقدرة على الاستجابة والتَّفاعل، وخير شاهدٍ تُقدِّمه الدِّراسة على ذلك هو النَّشيد الموسوم بـ: (باب المنزل)، ففيه نجد طفلاً يحكي عن علاقته الوطيدة بباب المنزل، وكيف يُحيّيه ذلك الباب، فيقوم هو بردِّ التحيَّة، ثمَّ يحكي عن تلك الجنَّة التي تظهر له حين يفتحه؛ جنَّة الأسرة، وفيها الأبُ والأمُّ والإخوة والقطُّ الصديق اللطيف:

أفتحُهُ عن جنَّةٍ للوردِ والقَرنفلِ

(٤٠): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري– ص:٤٩.

أبي وأمّي هاهنا أخي عصامٌ وعَلِي
إذا دخلتُ مَاءَ لي قِطٌّ بلونِ السُّنبلِ( )

إذن، كما هو واضحٌ اختفى الشَّاعر وراءَ الكلمات، وبرز الطفل عنصراً فعَّالاً في القصيدة، وليس أحبَّ إلى الصغار من أن يقوموا هم بالفعل والحركة، وكأنَّهم يثبتون لأنفسهم أنَّهم أصحابُ جدارة، ويستطيعون مخاطبة الأشياء أو تحريكها أو التَّفاعل معها، وعندما يكون الطفل بطلَ قصيدةٍ تصبح طفوليةً بامتياز، وقد تبدو وكأنَّها عصفورٌ يزقزق أو فراشةٌ تطير. فهل يمكن لقصيدة من هذا النوع ألَّا يحبّها الأطفال!

وفي قصيدة: (الزائر الصغير) يبدو الجدُّ المحبوب هو المُتحدِّث في أوّل القصيدة عن حفيده فيصل الذي يفرح بزيارته، لكنَّه في البيت الثَّالث سرعان ما يختفي، ليظهر الحفيد مُتكَلِّماً في القصيدة، فيحكي لجدِّه وجدته أنَّه قادمٌ إليهما بفرحٍ، ومعه قبلاتٌ كثيرةٌ سيكون لها رنينٌ عذبٌ حينما يطبعها على الخدود، وممَّا حمله معه لوحةً خاصَّةً رسمَها للجَدِّ بنفسه وهو يرقص سعيداً في البستان بين مزروعاته الخصبة:

قُبَلٌ معي لخدودكمْ عشراً وعشراً أحملُ
ومعي أتيتُ بلوحةٍ في رَسْمِها أنا أوَّلُ
جدّي رسمتُكَ راقصاً تعلو بساقكَ تَنْزِلُ
والزرعُ في بستاننا لكَ ناظرٌ مُتهلِّلُ( )

٣- **اعتماد بنيةٍ مشهديَّةٍ في معظم القصائد:** هذه البنية قادرةٌ على جذب الصِّغار بما فيها من حركةٍ وفعلٍ ووصفٍ وكلامٍ، وبعضُ المَشاهد فيها تصاعدٌ دراميٌّ ونموٌّ، هذا كلُّه يزيل حاجزَ الرَّتابة الذي يجعل الأطفالَ غيرَ راغبين في القصيدة، ويقدِّمها لهم في صورةٍ مغريةٍ ومُحبَّبةٍ إليهم، ففي قصيدة: (الدمية الوحيدة) تطالعنا طفلةٌ قلقةٌ على دميتها بعد أن غادرت البيت سريعاً أيَّام الحرب، ولم يُتَح لها أن تصطحب معها دميتها، فأصابها عليها قلقٌ كبيرٌ، كيف ستتحمَّل تلك الدمية الوَحدة؟ مَنْ سيمشط لها شعرها؟ مَنْ سيغنّي لها؟ مَنْ سيداعبها ويُكركر خصرها، ويرتفع مستوى الحدث الدراميّ مع ازدياد قلق الطفلة، فإذا بها تطلب من الربِّ طلباً طفوليَّاً حنوناً للغاية هو أن يأخذ منها قلبها، ويتركه بجانب الدمية لتأنس بحركته ونبضاته:

غادرتُ بيتي خائفةْ
والحربُ كانت زاحفةْ
وصديقتي ظلَّتْ
محبوبتي بقيتْ
هي لا تنام سوى
هي لا تطيقُ البعدَ
أرجوك يا ربّي
احملْ لها قلبي
ليظلَّ ينبضُ عندَها
فالعيشُ مُرٌّ

---

١)[: المصدر السابق– ص:٣.

٢)[: نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري – ص:٧.

نحن هنا أمام مشهدٍ متكامل العناصر والأبعاد، بل إنَّه يكاد يكون قصةً شعريَّةً موجَزةً لا ينقصها شيءٌ من مقوّمات القصَّة االرئيسة: حدثٌ–شخصياتٌ–حوارٌ–وصفٌ. وهذا كلُّه يخفِّف من الغربة التي قد يشعر بها الأطفال نحو الشعر، ويجعله شهيَّاً مرغوباً لديهم كقطعة سكاكر أو نزهة في حديقة.

٤– **الأنسنة:** وهي من الظواهر الفنيَّة الجماليَّة التي تنفع في مخاطبة النشء الصَّغير، ولها مردودٌ إيجابيٌّ في تحقيق تفاعلهم مع النُّصوص، وجذبهم إلى النصّ الشعريّ،"لأنها تقدَّم لهم الجوامدَ والأحياءَ كلَّها ناطقة، شاعرةً، مفكرةً، كما يتصورونها ويحبونها"( ) وتعني– كما أشرنا سابقاً– إسباغَ الصِّفات البشريَّة على ما ليس بَشريَّاً كالشجرة والزهرة وطير الحَمَام والدمية، وغير ذلك، والسرُّ في هذه الفاعلية المُومَأ إليها أنَّ الطفل حتى سنِّ خمس أو ست سنوات يعتقد أنَّ الأشياء من حوله تتكلَّم، وتتحرَّك، ولها خصائص تشبه خصائصَ الإنسان، ثمَّ عندما يكبر ويعي أنَّها تختلف عنه يستعذب صورتها القديمة كما توهَّمها، وحتَّى نحن الكبار يطيب لنا أن نتلقى أدباً يؤنسن الأشياءَ ويُشخِّصها، وبإلقاء نظرةٍ تأمليَّةٍ على قصائد الشَّاعر الكيّالي في ديوانه: (قمرٌ فوق دفتري) نجد أنَّ الأنسنة ظاهرةٌ حاضرةٌ في نصوصه بقوّةٍ، ومستخدَمةً بطريقةٍ حيويَّةٍ جاذبةٍ، فمنذ القصيدة الأولى: (باب المنزل)، وجدنا ذلك الباب صار كائناً حيَّاً حين يرى الطفل مُقبِلاً نحوه يتلقاه بفرحٍ قائلاً له: مرحباً، ويهديه بسمةً حلوة، يردُّها الطفل بأجملَ منها، وفي آخر القصيدة يعلو مستوى تفاعل الطِّفل مع باب بيته الجميل اللطيف، فيراه ليس قطعةً من خشبٍ، وإنَّما هو روحٌ معبأة بالحنان الكبير الغامر. وفي نشيد (شجرتي أمي الثانية) نجد الشجرة تضحك في حوض الدَّار، ممَّا يجعلها محبوبةً من الصغار، بل إنَّها تمتلك صفات الأمَّهات، فهي تمدُّ نحو الطفل غصنين من أغصانها كأذرع الأمَّهات، وتضمُّه بشوقٍ، فيشعر بنعومة أوراقها التي تُذكّره بنعومة الأذرع البشريَّة حينما تحتضنه:

تَمُدُّ غُصنينِ نَحوي تضمُّني باشتياقِ
ربَّاهُ ما أحلاها نعومةَ الأوراقِ!( )

وضمن ظاهرة الأنسنة هذه نستطيع أن نتحدَّث عن الصُّور البيانيَّة التي جاء بها الشَّاعر من تشابيه واستعاراتٍ، وكلّها وسائلُ فنيَّةٌ تجعل من الجوامد كائناتٍ حيةً أو تعطيها صفات كائناتٍ أخرى، ففي نشيد (ما قاله شعاع الشمس) يجعل لمسَ الشعاع لخدود الأطفال صباحاً كالقبلة:

أنا ضاحكٌ فوقَ ر لكي يُفيقوا
للكلِّ أحملُ قُبلةً ومعي قليلٌ من

كما أنَّه في البيت الأوَّل من الشَّاهد شبَّه اللون الأبيض للشعاع بالضحك، ونحن في الحالتين السابقتين أمام استعارتين تصريحيتين حُذف فيهما المشبه، وصُرِّح بالمشبه به، وسوى ذلك في غير قليلٍ من القصائد ؛ إذ جعلتها الصور والأنسنة كائناتٍ نابضةً لا مجرَّد كلماتٍ وحروفٍ مكتوبةٍ على الورق.

٥– **الخيال:** هو على صلةٍ وثيقةٍ بموضوع الأنسنة، لكنَّه أوسع منها؛ إذ إنَّها مجرَّد أداةٍ من أدواته، والخيال شديد الرحابة عظيم التأثير في أطفالنا، يستطيع أن يحملهم على ظهره كبساط الرّيح، ويطوف بهم في عوالمَ جديدةٍ مدهشةٍ تسعدهم، وتغسل ما علق في صدروهم من رتابةٍ وضجرٍ، لكنَّ من غير الجائز أن يكون الخيال المستعمل في

٣(): المصدر السابق– ص:٢٥–٢٦.

٤(): نجيب كيَّالي: للنُّهوضِ بقصةِ الطِّفل العربي (دراسة نظريَّة وتطبيقيَّة) –دائرة الثقافة–الشارقة،٢٠٢١ –ص:٩٣.

٥(): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري– ص:١٧.

٦(): المصدر السابق – ص:١٩.

قصائدهم عشوائيًّاً، بل ينبغي أن يأتي مُقيَّداً بخصوصيةٍ مُحدَّدةٍ؛ إذ إنَّ " أهم صفة يتصف بها الخيال الطفلي هي (الوضوح) ولا يخالف أحد الرأي القائل: إن المغالاة في الخيال غيرُ مقبولة في الشعر، وإن الخيال المطلق غيرَ المحدود مناقضٌ للحقيقة، وكلما اشتطَّ الخيال عن مدارك الطفولة، دخل متاهة غير مستحبة"(٧). ومن الشَّواهد التي تختارها الدِّراسة على ذلك: (حكاية الحمار والوردة) الذي يصطحب فيه الشاعرُ الأطفالَ إلى حالةٍ من حالات الخيال النَّافع الممتِع؛ إذ نجد وردةً على طرف الدرب يمتلئ قلبها بالعطف نحو حمار يجهده صاحبُه بالأحمال الثَّقيلة، والوردةُ تتابع شقاءَ الحمار كأنَّها مخلوقٌ من لحمٍ ودمٍ، فتتمنَّى لو صاحت به أو طالت أشواكها لتؤدِّبه عمَّا يفعله بهذا الحيوان الطيّب الصَّابر، فالخيال هنا ليس مجرَّد أنسنةٍ جاءت في جزءٍ من النصّ، إنَّما هو حالةٌ تمتدُّ على مساحته كلِّها، وهي في النِّهاية تخدم فكرةً واقعيَّةً هي الرِّفق بالحيوان، لكنَّ الدَّعوة إلى الرِّفق بالحيوان لم تأتِ على لسان الشَّاعر، إنَّما وردت مبطَّنةً يستشفُّها الأطفال من خلال غضب الوردة وضيقها بسلوك صاحب الحمار:

وهنالكَ فوقَ الدَّربْ
كانت وردةْ
بهدوءٍ تبصرُ ما
تستيقظُ من قبلِ
تتألمُ في صمتْ
دمعاً تذرفُ فوقَ
تتمنَّى لو نطقتْ
كالطفلةِ أو صرختْ:
الراحةْ.. الراحةْ
لصديقي قُربَ

وفي قصيدة (الذرَّة الطيّبة) يُداعب الشَّاعر خيالَ الأطفال، فيقدِّم لهم الذرَّة؛ عنصرَ الطبيعة الجافَّ في صورةٍ تخييليَّةٍ نابضةٍ بالحياة، فهي كائنٌ مملوءٌ بالمحبَّة يسعدها أن يتكوَّن منها الملح والسُّكَّر والورق الأخضر، وحين تجد نفسها وحيدةً ترفض ذلك، فتنادي ذرَّةً أخرى لتتحد بها، وتكوّنا معاً مقداراً من الماء أو الهواء يستفيد منه الأحياء:

اسمي ذرَّةْ
وأنا حُرَّةْ
لكنّي
أكرهُ أن أبقى وحدي
يَبْردُ خدّي
أدعو ذرّاتٍ أخرى
كَيْ نتعارفْ
كي نتآلفْ ( )

٧): محمد قرانيا: قصائد الأطفال في سوريا دراسة تطبيقية – من منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق، ٢٠٠٣م – ص:١٦١.
٨): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري– ص:٤٠–٤١.
٩): المصدر السابق– ص:٣٢.

٦- **الاستعانة بالمفردات السَّهلة المناسبة:** لا شكَّ في أنَّ الكلمات الغريبة الخشنة تجعل القصيدة صعبة التَّلقي لدى الصغار، وربَّما قد يقذفونها جانباً، وكأنَّها وجبةُ طعامٍ كريهٍ تُوضع على موائدهم، فالمفردات المناسبة لقصائد الأطفال هي تلك التي تعلَّموها خلال سنوات حياتهم التي مازالت قصيرةً، وهي قليلة العدد يستخدمونها في تعاملاتهم اليوميَّة وفي مدارسهم، لذلك نجد شاعرنا الذي نتحدَّث عنه يُقارب هذه المنطقة اللغويَّة المعروفة للصغار، المأنوسة بالنسبة إليهم، فمن مفرداته مثلاً: (قُبَلٌ- جدّي- زَرْع- بستان- ضاحكات- دميتي- حَمَام- أبي- أمي- قرنفل)، وإذا استخدم كلمةً جديدةً على الطفل سارع إلى شرحها في نهاية القصيدة، مثل: اليمام، الغمام في قصيدة: ما قاله شعاع الشمس قام بتفسيرهما لقارئه الصَّغير، ونلحظ أنَّه – مع شرط البساطة- يختار مفرداتِه ، وينتقيها من عالم الجمال والحسّ المقرون بدلالاتٍ سارَّةٍ مثل: عطور- قُبلات- حَمَام- يكركر- صباح- ورد.

٧- موسيقا رشيقة للأشعار: وهذا ما يقوم به كلُّ شاعرٍ يفهم طبيعة الصِّغار الذين يألفون النغمَ الخفيف العذب، وهم الذين اعتادوا هدهدات الأمهات وأهزوجاتهن فوق أَسِرَّتهم، كما أنَّ مزاج الأطفال عامَّةً يستجيب لكلِّ نغمٍ عذبٍ خفيفٍ يتطاير كأنَّه نسمةٌ أو جناح فراشةٍ، من هذا المنطلق عَمَدَ الشَّاعر إلى استعمال مجزوءات البحور كمجزوء الرجز في قصيدة: (باب المنزل)، ومجزوء المتدارَك في (بيت جديد)، ومجزوء الكامل في كلٍّ من قصيدتي (الزائر الصغير)، و(أغنية للأطفال والشمس)، ثمَّ مجزوء الوافر في قصيدة (أيها الأطفال):

يا خيولَ الحبِّ في دمائي.. في
كخُطى الوردِ خُطاكمْ عطرهُ في كلِّ

وممَّا لا ريب فيه أنَّ الموسيقا اللطيفة الدافئة هي من أهمِّ المفاتيح التي يصل بها الشَّاعر إلى نفوس الأطفال الطريَّة، فقبل أن يفقه الطفل أيَّ كلمةٍ من كلمات اللغة نجده يستجيب للتنغيم، فيكفُّ عن البكاء، وينتشر في وجهه نور الابتسام. ويمكننا القول: كتبَ الشَّاعر قصائده على أوزان تحاكي ما هو مستقرٌ في أعماق الصغار من أنغامٍ لطيفةٍ بقيت من ثُمالة ترانيم الأمَّهات، وتلك الأوزان قادرةٌ على تحريك الأوتار الدَّاخليَّة البالغة الحساسية المزروعة في قاع نفوسهم البريئة المرهفة.

٨- **عدم الجهر بحكمة النصّ:** أي أنَّ الشَّاعر ينأى بنفسه عن موقف الواعظ أو النَّاصح الذي يمجُّه الأطفال كما يؤكِّد عِلم النَّفس، ويرى ذلك العِلم أنَّ الطريقة المُثلى لتقديم القيم لهم أن تكون مغلَّفةً بالعسل أو بطعمٍ لذيذٍ كالدواء الذي لا يُقبلون عليه إلَّا إذا كان حلوَ المذاق، والشَّاعر- من الواضح- أنَّه يعي هذه الأمر جيداً، فهو يفعل المطلوب بشكلٍ أعمقٍ؛ إذ يخفي شخصيته في النصّ، ويترك للطفل أو لأيِّ كائنٍ آخر أن يتحدَّث في نصِّه، والحكمة أو القيمة التربويَّة لا يقولها ذلك الكائن بصورةٍ مباشرةٍ، إنَّما يستشفُّها الطفلُ المتلقي من وراء الحدث المُقدَّم له، كما وجدنا في قصيدة: حكاية الحمار والوردة، فقد عرف الأطفال من خلال غضب الوردة أنَّ الرَّحمة بالحيوان أمرٌ مطلوبٌ، وعَبْرَ قصيدة: الذرَّة الطيّبة عرفوا أنَّ على كلِّ الموجودات مهما كانت صغيرةً أن يتفاعل بعضها مع بعضٍ، ويتعاون ليكون نافعاً، وذا قيمةٍ، يستحِّق نعمة الحياة.

نتائج الدِّراسة:

١- تعددَّت مظاهر الدَّعوة إلى الحبِّ وصورها في الديوان، كما تجلَّت فيه عاطفة الشَّاعر الصادقة نحو

(٥٠): نجيب كيّالي: قمرٌ فوقَ دفتري – ص:٢٣.

الصغار، وأبوّته الحانية، ومن مظاهر تلك الدَّعوة أنَّه دعا الصَّغير إلى حبِّ منزله وعائلته وأصحابه، ولم يغضَّ النظر عن الدَّعوة إلى حبِّ الحيوانات الأليفة، والرفق بالحيوان.

٢- ركَّز الشَّاعر كثيراً وبصورةٍ خاصَّةٍ على الدَّعوة إلى الحبِّ الإنسانيّ، من خلال نبذ الحرب، وإغراء الصغار بإغداق الرحمة على ذوي الاحتياجات الخاصَّة. وتقديم يد العون والمساعدة لهم.

٣- حاول الشَّاعر إيصال دعوته بأسلوبٍ غير مباشرٍ، بعيداً عن الوعظ وتقديم النصائح بطريقة مباشرة ينفّر الطفل. كما حاول جاهداً إثارة خيال الطفل بوسائل متعددةٍ، ولا سيَّما أسلوب الحوار المُتخَيل.

٤- سعى الشَّاعر بكلِّ طاقاته الإبداعيَّة إلى تقريب مفهوم الحبِّ المجرَّد من ذهن الصَّغير، وذلك عن طريق استخدام صورٍ حسيَّةٍ استمد معطياتها في أغلب الأحيان من واقع الطفل، سعياً منه إلى إيصال دعوته إلى الصَّغير ودفعه إلى تبنيها مستقبلاً.

٥- اعتمد الشَّاعر على تشكيلات أسلوبية مختارة بعناية، تجلت في اعتماده على بنية مشهدية كان بطلها الطفل الصَّغير في معظم الأناشيد، إضافة إلى الخيال الذي هو بنيةٌ أساسٌ في أدب الأطفال، واختار موسيقى نصوصه بعناية من البحور الرشيقة المجزوءة، فجاءت مناسبةً لذائقة الصغار، كما ابتعد عن التقريريَّة والمباشرة، فلم يجهر بحكمة النص في أغلب الأحيان، ولم يتنافَ ذلك، مع الأسلوب السهل الواضح، والألفاظ المُنتقَاة بعنايةٍ فائقةٍ، وقد ملأها بالعاطفة، ممَّا جعل نصوصه مفعمةً بالمتعة، وتشويق الصغار، وشدّ انتباههم.

٦- استخدم الشَّاعر بنى لغويَّةً مجازيَّةً، ذات صيغٍ دلاليَّةٍ فنيَّةٍ غير مباشرةٍ، لم تتعارض مع الأفكار الواضحة التي تسمو بفكر الطفل، وتضبط انفعالاته وتوجهها توجيهاً نفسيَّاً وتربويَّاً سليماً.

٧- استطاع الشَّاعر من خلال ما سبق كلّه أن يكون طفلاً يُخاطب الأطفال من داخل طفولتهم، وكأنَّه واحدٌ منهم، كما استطاع أن يكتشف في الطفولة مناطقَ جميلةً، ربما لم يكتشفها الأطفال أنفسهم، فاصطحبهم في رحلةٍ إليها فوق زورق الأناشيد والكلمات الجميلة.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب

١. د. أحمد علي كنعان والدكتور فرح سليمان المطلق: *أدب الأطفال وثقافة الطفل*– منشورات جامعة دمشق، ١٤٣١–١٤٣٣هـ –٢٠١٠–٢٠١١م.

٢. بيان الصفدي: *شعر الأطفال في الوطن العربي دراسة تاريخية نقدية* – ط١ –منشورات وزارة الثقافة – دمشق، ٢٠٠٨م.

٣. د. سمر روحي الفيصل: *أدب الأطفال وثقافتهم قراءة نقدية دراسة* – من منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق، ١٩٩٨م.

٤. د. سمر روحي الفيصل: *أدب الرياض والأطفال والفتيان* – منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب – وزارة الثقافة– دمشق، ٢٠١٧م.

٥. د. سمر روحي الفيصل: *مشكلات قصص الأطفال في سورية* – منشورات اتحاد الكتاب العرب – دمشق، ١٩٨١م.

٦. سمير عبد الوهاب أحمد: *أدب الأطفال قراءات نظرية ونماذج تطبيقية* – ط١ –دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة –الأردن، ٢٠٠٦م–١٤٢٦هـ.

٧. عبد السلام محمد هارون: *الأساليب الإنشائية في النحو العربي* – ط٥ – مكتبة الخانجي – القاهرة، ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

٨. د. عبد العزيز المقالح: *الوجه الضائع – دراسات عن الأدب والطفل العربي* – ط٢ – دار الشؤون الثقافية العامة – وزارة الثقافة والإعلام – بغداد – العراق، ١٩٨٢م.

٩. عبد اللطيف أرناؤوط: *شعراء الأطفال–منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب*–وزارة الثقافة–دمشق، ٢٠١٦م.

١٠. محمد قرانيا: *أطياف قصص الأطفال في سورية (دراسة تطبيقية)* – سلسلة الدراسات (٢)– اتحاد الكتاب العرب، دمشق –٢٠١٣م.

١١. محمد قرانيا: *جماليات القصيدة الطفلية في سورية* – سلسلة الدراسات (١٢)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق –٢٠١٤.

١٢. محمد قرانيا: *قصائد الأطفال في سوريا دراسة تطبيقية* – من منشورات اتحاد الكتاب العرب –دمشق، ٢٠٠٣م.

١٣. ناصر يوسف جابر (شبانه): *أدب الأطفال، دراسة في المفهوم*–جامعة أم القرى .shabananet.hotmail.com

١٤. نجيب كيّالي: *قمرٌ فوقَ دفتري* – مطبعة تونس– قرطاج – الشرقية١، ٢٠٢١م.

١٥. نجيب كيَّالي: *للنُّهوضِ بقصةِ الطِّفل العربي (دراسة نظريَّة وتطبيقيَّة)*، دائرة الثقافة–الشارقة،٢٠٢١.

١٦. هادي نعمان الهيتي: *أدب الأطفال*، فلسفته، فنونه، وسائطه–مطابع الهيئة المصريّة العامة للكتاب – القاهرة، (د. ت).

ثانياً: الرسائل الجامعية

١. بوعيسى مسعود: التشكيل الموسيقي في شعر سليمان العيسى (ديوان الجزائر) أنموذجاً – رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة الحاج لخضر – باتنة – الجزائر، ١٤٣٢-١٤٣٣هـ-٢٠١١-٢٠١٢م.

٢. دعاء ثامر حميد: شعر الطفولة في العراق ٢٠٠٣م-٢٠١٥م (دراسة موضوعية فنية) – رسالة ماجستير – جامعة بغداد – قسم اللغة العربية، ١٤٣٨هـ-٢٠١٦م.

٣. منى رجب مصطفى: منظومة القيم الفكرية والفنية في "ديوان الأطفال" عند الشَّاعر سليمان العيسى – رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في الشعر الحديث – إشراف الدكتور محمد معلا حسن – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة طرطوس، ٢٠٢١م.